تصريحات أحمدي نجاد بإزالة إسرائيل من الوجود
الأهداف والمقاصد

صرّح الرئيس الإيراني الجديد أحمدي نجاد يوم الخميس الماضي الموافق 2005/10/27 بأنه ينبغي أن تلغى إسرائيل من خارطة العالم مؤكداً في ذات الوقت على الحق الفلسطيني في كامل تراب فلسطين، وجاءت هذه التصريحات الحادّة في وقت تشهد فيه إيران أزمتين حقيقتين على الصعيدين الداخلي والدولي، فما هي الغاية إذاً من وراء الإدلاء بمثل هذه الأقوال في الوقت الذي تبدو فيه الحكومة الإيرانية بأمسّ الحاجة إلى كسب الدعم والتأييد داخلياً ودولياً؟

يحتل الملف النووي الإيراني المثير للجدل أولويّات اهتمام الحكومات الإيرانية المتتالية بعد ثورة عام 1979 في إيران، وبرز هذا الملف على سطح الأحداث في السنوات الأخيرة من عهد الرئيس الإيراني محمد خاتمي الذي حاول جاهداً إسكات الأفواه الغربيّة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا عبر قنواته الخاصة ـ السريّة والمعلنة ـ حتى تمكن هذا الأخير من إنهاء فترة رئاسته لجمهورية إيران الإسلامية ليخلفه الرئيس احمدي نجاد.

وتميّز احمدي نجاد بمواقفه المتشددّة تجاه الغرب كونه يحتسب على التيار المحافظ في إيران وحاول التمسك بالثوابت المتعلقة بالملف النووي الإيراني وعدم السماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بنصب أجهزة مراقبتها في المفاعل النووية الإيرانية بما في ذلك مفاعل ناتانز، الأمر الذي حذا بالغرب وخاصة بريطانيا إلى المطالبة بعرض هذا الملف على مجلس الأمن الدولي للبتّ فيه، مما سبّب ذلك في توتراً ملحوظاً في العلاقات الإيرانية – البريطانية.

التلويح بالورقة الأحوازيّـة :

ولم تكتفي بريطانيا بالمطالبة بعرض الملف النووي الإيراني على مجلس الأمن الدولي فحسب بل اتهمت إيران بالتدخل في الشأن الداخلي العراقي، وكان هذا الاتهام سبباً في أن تقوم إيران وعبر أجهزتها الاستخبارية بتفجيري الأحواز في 2005/10/15 أديا إلى استشهاد عشرة وجرح مائة من المواطنين الأحوازيين فوجهت أصابع الاتهام إلى بريطانيا مباشرة على أساس أنها تقف وراء هذان الانفجاران من خلال دعمها لعناصر أحوازيّـة تلقت التدريبات على يد القوّات البريطانية المرابطة في الجنوب العراقي المتلاصق بالأحواز.

ولعل التصرّف الإيراني هذا يدلّ بوضوح على التخبط في التعامل مع القضية الأحوازيّة العادلة التي تبدو ورقة رابحة للغرب إذا ما أراد التمسك بإيجاد حلّ عادل لها لتضييق الخناق على إيران، إلا أن المحاولة الإيرانيّة لاستغلال الأحواز كورقة يلعب بها في تصفية الحسابات مع الغرب يبدو أمراً غير مجدياً وتعدّ القضيّة الأحوازيّـة ورقة خاسرة حيث أن كافة الأنظمة والحكومات الإيرانية بما في ذلك حكومة احمدي نجاد حاولت القضاء عليها من خلال التكتم والتعتيم الإعلامي الشديد والحصار الذي تفرضه على الاحواز منذ احتلالها عام 1925.

لذا فان التلويح بالورقة الأحوازية من قبل إيران سوف لن يأتي بالنتائج المطلوبة لخروج الأخيرة من الأزمات الحادّة التي تعيشها على الصعيدين الداخلي والخارجي، ولكن إيران ومن خلال تفجيري الاحواز أرادت فقط بان تضع بريطانيا في موقف المتهم والدفاع عن نفسها وإيصال رسالة تدلّ على القدرة الإيرانية على الرد على ما تسببه بريطانيا من مضايقات.

رسالة إيرانيّة جديدة إلى العالم :

وبعد 11 يوم فقط من تفجيري الأحواز أكد الرئيس الإيراني أحمدي نجاد على ضرورة إلغاء إسرائيل من الوجود، فتعالت الأصوات الدولية وخاصة الغربية المنددة والمستنكرة لهذه التصريحات، وجاء الرد الإسرائيلي على لسان رئيسي الوزراء الأسبق والحالي شمعون بيريز وأرئيل شارون، حيث طالبا بضرورة طرد إيران من الأمم المتحدة، وأكدا على خطورة امتلاك إيران الاسلحة النووية.

ولم يربط المسؤولين الغربيين السلاح النووي الإيراني بتصريحات أحمدي نجاد ضد إسرائيل فاكتفوا بتوجيه رسائل تنديد واستنكار وشجب إلى إيران، وإذا ما اقتصرت الاحتجاجات الغربية والدولية على حدّ التنديد والشجب والاستنكار والتحذير فان ذلك يعني بان إيران قد نجحت في إشغال العالم بخطورة تصريحات رئيسها عوضاً عن الملف النووي الإيراني، كما يدلّ ذلك على اقتراب موعد اكتمال هذا السلاح أو ربما اكتماله.

ومن الممكن جدّاً وصف هذه التصريحات على أنها تحمل رسالة ضمنية إلى العالم أجمع بأنّ إيران قادرة فعلاً على إزالة إسرائيل من الوجود وذلك بفضل ما تمتلكه الأولى من أسلحة فتاكة بما في ذلك السلاح النووي، ومثل هذه السياسة قد انتهجها النظام العراقي في سنواته الأخيرة حين صعّدت الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا من حدّة لهجتهما تجاه أسلحة الدمار الشامل المزعومة في العراق.

وبالرغم من نفي المسؤولين العراقيين بما فيهم الرئيس صدام حسين امتلاك العراق أسلحة دمار شامل، إلا أن النظام العراقي نفسه وعبر قنواته الخاصة كان يوهم العالم على الدوام بأنه يمتلك مثل هذه الأسلحة وبذلك تمكن النظام من إطالة عمره والبقاء على سدّة الحكم لعدّة سنوات إضافيّة قبل سقوطه.

ولكن نفي المسؤولين العراقيين امتلاك أسلحة الدمار الشامل لم يجدي نفعاً، إذ تمسّك الغرب بتصريح صدّام حسين عقب انتهاء الحرب مع إيران حين قال: "إذا ما اعتدت إسرائيل على العراق فإننا سوف نحرق نصف إسرائيل". ورغم أن هذا التصريح الذي تناول إسم "إسرائيل" يحمل اعترافاً ضمنيّاً بوجود دولة إسرائيل، إلا أنه كان ذريعة كافية لجرّ الويلات على العراق، والآن جاء دور الرئيس الإيراني ليؤكد على ضرورة إزالة كامل إسرائيل – وليس نصفها – من خارطة العالم.

تصريح نجاد مدروساً وليس إرتجالياً :

إن بعض المحللين بما فيهم الدكتور علي نوري زادة رئيس مركز الدراسات الإيرانية في لندن يرون أن تصريح احمدي نجاد كان عبارة عن تصريحاً ارتجالياً غير مدروساً بسبب تأثر الأخير بأجواء المؤتمر المنعقد لمناهضة الصهيونية، بينما واقع الحال يؤكد عكس ذلك تماماً، حيث جاء هذا التصريح بعد أسبوع من استعراض الجيش الإيراني لستة صواريخ من طراز شهاب ثلاثة منها قادرة على دكّ قلب إسرائيل من ناحية، وورد هذا التصريح قبل يوم واحد فقط من يوم القدس وهو آخر جمعة من كل شهر رمضان وقد أعلن ذلك الخميني من قبل.

وبمجرّد إختيار نجاد لهذا اليوم فأن ذلك يعني بأنه كان واثقاً من أن في اليوم التالي بعد تصريحه وهو يوم الجمعة أي يوم القدس، ستخرج أعداد غفيرة من الجماهير الإيرانيّة المؤيّدة للحقّ الفلسطيني والمنددّة بالإحتلال الإسرائيلي لأرض وشعب فلسطين وأنّ هذه الجماهير ستهتف حتماً شعار الموت لإسرائيل، وهذا ما حصل فعلاً فاستغلّ أحمدي نجاد هذه الفرصة ليعلن أنّ ما قاله ضدّ إسرائيل يعبّر عن موقف الشارع الإيراني ولا يعبر بالضرورة عن موقفه الشخصي فقط.

وإذا كان القصد من وراء هذا التصريح يكمن في إرباك العالم الغربي وكذلك إسرائيل والأمم المتحدة على حدّ سواء بغية الابتعاد ولو قليلاً عن الضغط على إيران وإجبارها على التخلي عن الأسلحة النووية والانشغال بتصريحات الرئيس احمدي نجاد والأسلحة الإيرانية التقليدية، فان ذلك يعدّ مناورة خاسرة كونها لا تضمن بالضرورة الحفاظ على الأمن القومي الإيراني ولا حتى إطالة عمر النظام الإيراني الذي بات مهدّداً من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها خاصة وان واقع الحال يؤكد أن أمريكا وربيبتها إسرائيل على دراية كاملة بساعة الصفر لإنتاج القنبلة الذريّة الإيرانية.

وقد شاهدنا من قبل كيف أن المقاتلات الإسرائيلية وبإيعاز أمريكي دكّت مفاعل تمّوز النووي العراقي عام 1981 بمجرّد تأكدها من أن العراق قد بدأ العمل فعلاً لإنتاج أسلحة نووية حتى وان كان موعد استكمالها يبدو بعيداً، إلا أن الانطلاق بالعمل في حدّ ذاته كان كافيا لاعتبار أن العراق قد تجاوز كافة الخطوط الحمراء وأصبح يشكل خطراً حقيقياً على وجود دولة إسرائيل في المنطقة.

لذا فانه من الممكن جداً بان تكون كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على دراية كاملة بموعد إنتاج القنبلة النووية الإيرانية خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الضغوطات الأمريكية على الباكستان بوضع أب القنبلة النووية الباكستانية عبد القادر خان تحت الإقامة الجبريّة في منزله وذلك بعد أن اكتشفت أمريكا وجود عاصمة ثالثة غير "بيونغ يانغ" و"إسلام آباد" كان يتردد عليها عبد القادر خان، وكانت هذه العاصمة "طهران" التي تردّد عليها خان سرّاً لمساعدة إيران في إنتاج السلاح النووي وقد منحته الأخيرة فيلا في الشمال على بحر قزوين للإقامة فيها.

وعليه فان المناورات الإيرانية الأخيرة التي اتسمت باتهام بريطانيا بالضلوع في تفجيرات الأحواز تارة وبتصريح احمدي نجاد بضرورة إزالة إسرائيل من الوجود تارة أخرى، تبدو أوراق خاسرة وغير مجدية مقابل تمسّك الغرب ابتداء بموقفه الرافض لاستمرار إيران في أنشطتها النووية والكفّ عن التدخل في الشأن الداخلي العراقي ومساندة الإرهاب في المنطقة، ومروراً بتفاقم الأزمات الداخلية الإيرانية المتأتية من أبناء القوميات كالآذريين الأتراك والأكراد والبلوش والتركمان الذين رفعوا من سقف مطالبهم بحقوقهم المشروعة والمسلوبة من قبل النظام الإيراني، وانتهاء بتخبّط النظام الإيراني في التعامل مع الانتفاضة الأحوازية في شهر نيسان – ابريل - من العام الحالي والتي ساهمت كثيراً في تأجيج المشاعر الغاضبة على النظام من قبل القوميات المذكورة أعلاه كما تسببت في تراجع هيبة النظام وكسر شوكته.

لذا فانه من الوارد جدّاً بان يكون تصريح احمدي نجاد ذريعة كافية لجرّ الويلات على النظام الإيراني المتغطرس الذي أبى أن يسير عكس اتجاه المخطط الأمريكي للشرق الأوسط الكبير والسير قدماً نحو المزيد من القمع والتنكيل بأبناء القوميات الإيرانية ومحاولاته الجادّة لسحق رغبات الشعب العربي الاحوازي وتطلعاته الكامنة في الحريّة والتخلص من نير الاحتلال الإيراني الواقع عليه منذ أكثر من ثمانين عاماً.

عباس عساكرة
2005/11/01